القصائد السياسية طالت رموز السلطة ووزير الثقافة طلب من الشعراء «عدم زرع القنابل»

اليمن: ملتقى الشعراء العرب الشباب يكسر حاجز «ثالوث المحرمات» ويخوض في كل شيء

صنعاء ـ «القدس العربي» ـ من خالد الحمادي:

بعض كبار الشعراء اليمنيين والعرب في مقدمة حضور ملتقى صنعاء للشعراء الشباب

«الحرية في وطني كلب ضال
يتعاوى
يلهث
ينبح
لكن لا يقعي الا للمال»

بهذه الكلمات للشاعر السعودي الشاب محمد مسيّر مباركي، انتهى الملتقى الثاني للشعراء الشباب العرب المنعقد في صنعاء خلال الفترة 22 ـ 26 الشهر الجاري بحضور كبير ولافت للنظر لشعراء شباب من أغلب الأقطار العربية وبفاعلية كبيرة وحرية غير معهودة تجاوزت كل الحدود وحطّمت كل القيود.

خمسة أيام شعرية عاشتها العاصمة اليمنية صنعاء مفعمة بكل معاني الحب ومكتظة بكل أشكال الغزل، وبألوان شعرية متعددة حطّمت كل قيود السياسة ولم يسلم منها حتى الدين، ما دفع بالبعض الى وصف ملتقى صنعاء الشعري الشبابي بأنه الملتقى الأدبي الذي حطّم كل قيود ثالوث المحرمات (الدين، السياسة والجنس).

وبلغ سقف الحرية في هذا الملتقى الشعري أعلى مستواه، الى درجة أن الشاعر ووزير الثقافة اليمني الشاب خالد الرويشان شعر أن مقعده الوزاري اهتزّ مع سماعه للعديد من القصائد السياسية التي لم تطله فحسب ولكن بلغ تحرر بعض الشعراء اليمنيين الشباب الى التطاول على رموز السلطة في البلد.

الرويشان اختتم هذا الملتقى الشعري بكلمات قاسيات شديدة اللهجة، بدلا من كلماته الشاعرية المعهودة التي يتحف الجميع بها في كل فعالية أدبية، وألح الى أنه كان قرر عدم الاطلاع على أي نص شعري قبل قراءته في منصة هذا الملتقى، حتى يتاح فضاء أوسع للحرية دون قيود من أحد، وأشار الى تطاول بعض الشعراء الشباب الذين حاولوا تفجير القنابل وتحويل هذا الملتقى الأدبي الى حقول ألغام، وقال «لا لزارعي الألغام ولن نقبل لأحد أن يزرع الألغام في طريق هذا الملتقى الشعري الذي هو ملتقاكم فحافظوا عليه».

ووصف الشاعر الأردني علي العامري فضاءات الحرية في ملتقى صنعاء الشعري الشبابي بقوله «أهمية هذا الملتقى أنه كسر الثالوث المحرّم أو الثالوث المقدس، وهو الدين، السياسة والجنس، ففي هذا الملتقى كانت هناك حرية مدهشة، وكانت هناك أصوات تحدثت عن هذا الثالوث المحرم بحرية وبفضاء مبشّر وهذا يؤكد أن صنعاء ينتظرها دور كبير وسيكون لها دور كبير في السنوات القادمة في هذا المجال».

وعلى الرغم من الشد والجذب بين أتباع التيارات الشعرية والنقدية المتعددة، الا أن أهمية هذا الملتقى أنه كان بمثابة واحة مهمة للشعر الجديد، وهو ملتقى أدبي ديمقراطي تجاورت فيه الأنماط الشعرية المتعددة ولكن كان للكتابة الحديثة أو للشعر الجديد النصيب الأوفر من فعالياته وبدون الغاء للأنماط الأخرى وفقا للشاعر الأردني علي العامري، الذي أوضح بأن أهمية هذا الملتقى تكمن أيضا في تمثيله للمشهد الشعري العربي ليس في اليمن فقط ولكن للمشهد الشعري العربي بشكل عام واتاحة المجال للتواصل بين الشعراء وتفتّق أفكار جديدة بين الحضور من الشعراء الشباب، من خلال الاحتكاك الشعري.

دينامو هذا الملتقى الشعري ونائب رئيس اللجنة التحضيرية له الشاعر علي المقري فيرى بأن ما جرى في ملتقى صنعاء يعطي انطباعا متميزا عن أهمية هذا الملتقى فقد عبر الشعراء العرب المشاركون بأن صنعاء أصبحت عاصمة الشعر الجديد، لاهتمامها بهذه الحداثية الشعرية الجديدة، حيث أن الملتقيات الشعرية العربية الأخرى دائما ما تكرس للشعراء العرب الكبار الذين صاروا مكرسين ومشهورين لكن ملتقى صنعاء كان استثناء في احتضانها للشعراء الشباب العرب وبالتالي وضعته في المتن وليس في الهامش كما هو معتاد في كل الملتقيات العربية، كما أنه من حيث الكم الكبير للشعراء المشاركين فيه يعطي هذه المكانة لهذا الملتقى.

أما الناقد العراقي الدكتور حاتم الصكر فقد قال بأن الاستثناء المميز لملتقى صنعاء الشعري أنه مكرس للشعراء الشباب، هؤلاء الذين لا شرعية ولا آباء شرعيون لهم، وأذكر جيدا أنني حين أصدرت كتابي عن شعراء السبعينيات في بغداد وكذلك حين أصدرت كتابي عن قصيدة النثر في اليمن أجيال وأصوات، لم تقابلهما الأوساط الأكاديمية بالترحيب، بل نلت الكثير من النقد بأنني أكتب عن تجربة في طور التكون، لكنني أجد الآن في هذا الملتقى ما يعزز أطروحتي، فالشباب هم صوت المستقبل، وهذا ليس انشاء ولا تفاؤلا وانما هو من طبيعة الأشياء، وما سمعناه وما نسمعه يعطي الحق لمنظمي هذا الملتقى ولمن هم وراء فلسفة أن يكون الشباب نجوم هذا الملتقى وأن يكون مكرسا لهم وسيجد الحق الكبير لهم عندما يستمع لهم ويجد تجارب ومحاولات ومغامرات لغوية من قبلهم وهذا كله يعطي للجسم الشعري المتلبّس شيئا من الليونة والمرونة والتجدد.

تكريس الشعراء الشباب في ملتقى عربي رسمي وهذا هو المهم هو كسر لهامشية هذا الشباب ودخوله الى المتن بكل جدارة وفقا للصكر الذي أكد تجاوز هذا الملتقى للقطرية باعتبار أن مشروع الشعر العربي هو مشروع مشترك وهذا ما نفتقده في الكثير من الدوريات ووسائل النشر والاعلام.

وعلى الصعيد الآخر يرى الشاعر اليمني وصاحب موقع عناوين ثقافية أحمد السلامي أن ملتقى صنعاء الشعري كان بانوراما شعرية هجينة، لا تجانس في جلساته الشعرية، فالقصيدة العمودية المكتوبة على النمط الجاهلي حضرت جوار قصيدة النثر على منصة واحدة وعاد السياب أيضاً الى الحياة في قصائد تفعيلية كان همها رص الكلام الموزون على علاته.

الشعراء العرب جاؤوا الى صنعاء مدفوعين بمقالات عاطفية كتبها الذين حضروا ملتقاها الأول، جاء كل واحد حاملاً مشاعر الأمل تجاه (الحبيب الأول)، لكنهم هذه المرة أفسدوه وأكدوا عبر وسائل عديدة ان صنعاء لم تحسم أمرها بعد، وانها في الأساس غير قادرة على احتضان شعرائها الحداثيين القلائل فما بالك باحتضانها للنص الشعري الجديد على المستوى العربي وفقا للسلامي، الذي أكد أن الشعراء جاؤوا الى صنعاء لكن قصائدهم تاهت في زحام جدول فعاليات شعرية ونقدية حملت نوايا تمييع الملتقى قبل ان يبدأ.

الشعراء اليمنيون الشباب غاب الكثيرون منهم عن منصة الالقاء على الرغم من أنها أسماء مهمة في خريطة الشعر اليمني الجديد.

وأوضح السلامي أن صنعاء استطاعت استضافة عدد كبير من الشعراء في ملتقاها الشعري الثاني لكنها لم تستطع استضافة شعرهم، فلقد استضافت صنعاء الكثير من الشعراء ولكنها لم تستضف الشعر الا على مضض، وجعلت لكل شاعر قصيدة نثر شاعرين عموديين يترصدانه على المنصة قبل أن يصعد اليها وبعد أن يترجل منها.

هذا الملتقى الذي شهده نحو 350 شاعرا عربيا ثلثه من أقطار الوطن العربي وبقيته من المناطق اليمنية، تضمن احتفاء خاصا وتكريما مميزا للدكتور العربي كمال أبو ديب.

شاهد نفي

من رواية التاريخ الى أُقصوصته!!

خيري منصور *

اذا كانت تلك الرواية العظمى للتاريخ قد حملت اسم قصة الحضارة، كتوأم لما سماه المؤلف نفسه ويل ديورانت قصة الفلسفة، فان الملخص الذي اعده ديورانت قبيل رحيله للتاريخ هو أقصوصة الحضارة. وتلك واحدة من المرات النادرة التي يتولى بها المؤلف اختزال مشروع كبير، وما كان يحدث هو ان يتولى محترفون مثل هذا الاختزال، سواء بهدف التبسيط المدرسي او بهدف تقديم خلاصات تليق بما يسمى جزافا عصر السرعة.

وقد ينطبق على ملفات ديورانت ما قيل قبل عقدين من الزمن عن روايات من طراز الحرب والسلام لتولستوي او الاخوة كرامازوف لديستويفسكي، حيث شاع بين القراء ان مثل هذه الاسفار تتطلب فراغا لم يعد متاحا للبشر، اللهم الا اذا قرروا التفرغ للاقامة في السرير كما علق احد الساخرين ليقرأوا الروايات فقط!

وقد يكون عنوان قصة او أقصوصة على الحضارة والفلسفة هو بحد ذاته تبسيط، يقصد منه اجتذاب القارئ العادي، لكن بشباك أخرى غير تلك التي تحدثت عنها فرجينيا وولف في كتابها الشهير «القارئ العادي».

فالقصة تعد قارئها بسرد لا يتطلب منه تحليلا او مشاركة، وقد ينصرف ذهن بعض القراء الى الامتاع، وتزجية الوقت، واذا صح هذا الى حد ما مع التاريخ... فانه يصبح أكثر تعقيدا مع الفلسفات، وان كان ويل ديورانت قد امتاز كمؤرخ باسلوب شائق، يقدم افلاطون مثلا كبطل روائي فيما يلعب الحواريون دور الكومبارس او الشخوص الثانويين الذين يتم استخدامهم كأبواق فقط!

واخطر ما في تحويل التاريخ الى قصة، ومن ثم الى اقصوصة، هو اشباع فضول القارئ وارضاء خياله بوجبة سريعة، بحيث تصبح الحياة الذاتية لبطل او فيلسوف مجرد سيرة عابرة لزواج وطلاق او لتفاصيل حياتية منقطعة عن الجذور المعرفية والهواجس!

وان كان لي ان اعقد مقارنة اولية بين قصة الحضارة ذات المجلدات العديدة وبين اقصوصتها المترجمة حديثا الى العربية، فليكن المدخل تجربة قرائية شخصية.

في التجربة الاولى، وهي قراءة قصة الحضارة، وعند الاعلان عن صدورها مترجمة الى العربية كان يصعب على امثالنا اقتناؤها، لهذا سارع «السنوبيون» الى ملء رفوف البيوت الانيقة بها، أو تزيين مدفأة الحائط بمجلداتها الانيقة/ ويعود الفضل بالنسبة لي كقارئ الى برنامج تلفزيوني، كان يقدم لضيوفه هدايا من الكتب بدل المال، وظفرت بمجلدات تلك القصة الطويلة قبل ثلاثين عاما، مما أتاح لي أن أقرأها... وكان الفراغ وعافية الروح وبراءة الاسئلة تعين جيلنا على تحقيق مثل هذه الرغائب التي تبدو الان بالغة الصعوبة!

لهذا لا أجد حرجا لدى مقارنة القصة بالأقصوصة عند تعلقهما بمؤرخ كبير مثل ويل ديورانت في القول بأن الاقصوصة نتفت ريش القصة كما يحدث لطاووس مثلا، او انها أجرت جراحة اختزالية أودت بوقائع وتحليلات وتفاصيل، فالتاريخ ليس قابلا للاختصار الا اذا كانت حياة الانسان نفسه قابلة لهذا.. بحيث يقال ان فلانا ولد وحبا وسعى ومات...

هذا بالاضافة الى ان بعض المؤرخين تجتذبهم مهنة غالبا ما تدرك المشتغلين فيها في خريفهم، وهي استرضاء الذائقة العامة، والميل الى «شخصنة» التاريخ والوقائع، بحيث يبدو التاريخ برمته سيَراً لأبطال، وكل ما عداهم مجرد اصداء لهم، او تكريس لاستثنائيتهم، وكانت هذه الاشكالية المتعلقة بالتاريخ، وما اذا كان حصادا لمغامرات ابطال او ذا نواميس وقوانين تحكمه مثارا لمساجلات لا حصر لها بين المشتغلين في مهنة التأريخ...

ومنهم من رأى ان البطل مجرد يافطة على حدث وأن افرازه كان يحتاج الى قابلة فقط، كي تستولده من الرحم وتسميه!

لكن مؤرخا آخر من سلالة ديورانت كان قد ألف كتابا طريفا بعنوان (لو) ملأه بالاسئلة من طراز ما الذي كان سيحدث لو ان كارل ماركس مات طفلا بالحصبة الالمانية!

وما الذي كان سيحدث لو ان ونستون تشرشل دهسته سيارة وهو في العاشرة من العمر، او ما الذي كا سيؤول اليه التاريخ الفرنسي المعاصر لو ان الفلاحين الفرنسيين لم يقبضوا على آخر لويس من اسرة بوربون مع زوجته؟

ومن حق اي قارئ ان يجيب على هذه الاسئلة كما يشاء، لكن الاجابات ستكون محكومة بل مشروطة بمستوى الوعي، والاحاطة بسياقات تاريخية تتجاوز السير الذاتية او الموضوعية لمن يسمون ابطال التاريخ ، وغالبا ما تروج كتب التاريخ الحكائي والمؤسطر في أزمنة يسود فيها الاحساس بعدمية غامضة قد لا يستشعرها ويدركها الا أفراد قلائل في أزمنة كهذه يصبح البطل الغائب مطلبا وطنيا ومعرفيا للخلاص، بحيث يتم التعويل على قدراته الفذة والاستثنائية التي لا يمتلكها القطيع، لهذا تتجه الاشواق الشعبية الى أحد مصدرين لابتكار الابطال، الاول هو المقابر والثاني هو المهود...

ابطال المقابر هم غابرون يسود الاعتقاد لدى ورثتهم بأنهم رحلوا قبل الاوان، وان الحاجة الى امثالهم قد أصبحت ماسة في فراغ شامل وبطالة تاريخية تشل الارادة!

اما أبطال المهود فهم القادمون من المستقبل، والذين يتولى الخيال تلفيقهم من حكايات مبعثرة في الذاكرة. لأن الخيال في نهاية المطاف هو ذاكرة أخرى لكن اعيد انتاجها واضيفت اليها مساحيق تجميل، ونبتت لها أجنحة، حتى لو كانت من السلالات الزواحفية!

نذكر على سبيل المثال ان كتاب «كارلايل» عن الابطال في التاريخ تحول الى انجيل شعبي في فترة ما، ولم تعد الوقائع هي المهمة بل من أحدثوها واقترنت بأسمائهم، وقد نجد استشهادات لا حصر لها بكتاب كارلايل خصوصا في الثقافة العربية، لأنه أنصف أبطالا من التراث العربي - الاسلامي».

وبهذا المقياس غدت معظم الكتب المتعلقة بالتاريخ في النصف الثاني من القرن العشرين وكأنها سِيَر ذاتية للرباعي الباتريارکي المؤلف من موسوليني وهتلر وستالين وديغول، مما دفع مؤرخا الى القول عشية رحيل ديغول بأن عصر الأبطال قد ولى الى الأبد!

* * *

من جانب آخر، لعله الجانب المهمل والمسكوت عنه في الثقافة الرائجة، انتقل المؤرخ الكلاسيكي من موقع السارد والراوي الى موقع المحلل، وهذا ما يسمى فلسفة التاريخ، على سبيل التفريق بين اتجاهين أحدهما غنائي الرؤى، وأفقي، والآخر مركب، وبانورامي... وكان المستشرق «غرونباوم» قد تنبه الى ظاهرة ما يسمى المؤرخ الغنائي في قراءته لبعض المؤرخين العرب ومنهم ابن الاثير.. وان كان ابن اياس في بدائع الزهور قد اوغل في هذه الغنائية، بحيث يجدر ان يكون الامثولة وليس المثال فقط!

الغنائية اندفاع منفعل وراء الواقعة، وعزف متكرر على الوتر ذاته، بحيث ينسى المؤرخ السياق الحدثي الذي يرصده، ويجد نفسه مستطردا في اضافة انفعالاته ورغائبه واسقاطاته على حدث بعينه!

وهنا نتذكر اطروحة فريدة في مجال التاريخ وشجونه، فقد تساءل مؤرخ حديث عن تاريخ التاريخ... قائلا ان الناس عبر اجيالهم المتعاقبة يروون حكاية التاريخ، فمتى يتولى هو رواية روايته ؟

وحقيقة الامر ان هذا السؤال يعود الى اسطورة سادت زمنا عن عجوز تقمصت التاريخ وقررت اعادة الاعتبار اليه، لأنه متعدد بعدد المؤرخين، وهذا أمر معروف، خصوصا اذا تذكرنا بأن هناك اكثر من ثلاثين بسمارك وخمسين هتلر وعشرة ستالينات، فمن كتبوا عن هؤلاء لم يغرفوا من نبع واحد، ومنهم من برأ ومنهم من أدان، بحث اصبحت مقولة برنارد شو الشهيرة عن المسيح بأنه ليس مسيحيا قابلة للتأويل، فماركس ليس ماركسيا وناصر ليس ناصريا وديغول ليس ديغوليا...

وبالعودة الى اقصوصة ديورانت، التي تختزل القصة الكبرى، فان المحذوف بممحاة المؤرخ ذاته اضعاف ما تبقى، والخطورة هنا هي في الانتقاء، وما يحب حذفه وإبقاءه، وان كان من حق قارئ ما ان يتساءل: اذا كانت الأقصوصة تكفي فلماذا كانت القصة ومن قبلها الرواية كلها؟

وان كان الفارق بين اختزال يقوم به المؤلف واختزالات المحترفين يبقى جوهريا، الا ان الخسائر قد لا تتفاوت كثيرا، وقد عرف عصرنا الحديث تجارب من طراز تجربة دار النشر «رد بوك» حاولت تقديم ملخصات لأهم روايات القرنين التاسع عشر والعشرين، وكان القاص والروائي الفرنسي سومرست موم قد احترف الاختزال في مرحلة ما من مراحل حياته، وان كان هناك من سخر من تلك المحاولة، فقد علق كاتب فرنسي على محاولات (موم) تلك قائلا انها تعود عليه بعشرين فرنكا في الدقيقة الواحدة !!!

* * *

ان بامكان من يشكون من ضيق الوقت ان يقرأوا الصفحات القليلة التي يتكون منها البيان الشيوعي مثلا، ويقولوا بعد ذلك انهم ليسوا بحاجة الى قراءة كتاب رأس المال...

وبامكان من لا يسعفهم الفراغ الكافي ان يقرأوا كلمة الناشر على غلاف رواية الزمن الضائع لمارسيل بروست ويكتفوا بذلك..

ان الزعم الدائم بأن عصرنا هو عصر السرعة والاختزال، هو دفاع عن كسل ذهني، وما يسمى حرق المراحل لا يليق على الاطلاق بمسألتين جوهريتين في التجربة البشرية، الاولى روحية معرفية تتعلق بالابداع، والاخرى تتعلق بالديموقراطيات ونموها عبر تربويات وثقافات.

واذا قبلنا بفلسفة الاختزال، فان علينا ان ننتظر جراحات موسيقية لسيمفونيات، وتحويل فهود الروايات الى قطط...

وأسوأ ما تفعله ازمنة الانحطاط هو افقار الماضي بالاستلاف الدائم منه، واحيانا التمدد السرطاني الى المستقبل لمصادرته واجهاضه!

ويبدو اننا بعد عدة ألفيات من ابطال الاغريق القدماء ومن تلك النقوش على رخام اضرحتهم بحاجة الى اعادة تعريف مفهوم التاريخ... ومن هو البطل؟

---

* شاعر وكاتب من الاردن

على مقربة بالفعل من الثقافة

ملحق «فكر وإبداع» يغطي الفراغ الثقافي بالمغرب

عبد الرحيم الخصار*

■ غالبا ما يطرح هذا السؤال في المقاهي المغربية:لماذا تصدر فلسطين المحتلة أهم المجلات الثقافية بالعالم العربي: الكرمل، الشعراء،مشارف...بينما يعجز المغرب كبلد متحرر إلى حد ما عن إصدار مجلة واحدة تنزل للسوق بشكل منظم؟

المغاربة اليوم يكتبون في القصة والرواية والشعر والنقد والفكر والمسرح، ولكنهم لا يجدون منبرا حقيقيا يكتبون فيه، لذلك ستجدهم ينشرون في كل بقاع العالم إلا في بقعتهم، ليس بمقدورنا إذن أن نستغرب حين نجدهم مثلا في المجلات الخليجية أكثر من الخليجيين أنفسهم.

سرني كثيرا ـ وأنا أتصفح الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الإشتراكي الصادرة يوم 14 نيسان (أبريل) 2006 ـ أن أكتشف شيئا بدا لي للوهلة الأولى غريبا: لقد تحول ملحق داخل جريدة إلى مجلة، ربما أدركوا الفراغ المهول الذي يخلفه غياب المجلات الثقافية الشهرية أو الفصلية على الأقل (طبعا أستثني تلك التي تصدر مرة في السنة أو السنتين) لذلك صاروا يضطلعون بهاته المهمة.

صدر الملحق في 16 صفحة مصدرا بدراسة نقدية لمحمد برادة عن رواية «دنيا» لعلوية صبح ـ دار الاداب2006ـ وبمادة رصينة عن الملتقى الدولي الخامس للفلسفة، في الصفحة الثالثة كانت صورة الراحل محمد الماغوط ممسكا بـ«شرق عدن غرب الله» تشغل أكثر من ثلث الصفحة، يظهر الماغوط عظيما في صورته، صورته التي توحي بالضرورة بأن هذه الملامح هي لواحد من أهم كتّاب القرن في عالمنا، تحت الصورة تكتب رجاء الطالبي كلمتها: «بموت الشاعر محمد الماغوط نودع آخر السلالات التي اختارت ان تقتات من خبز الحرية»، كانت كلمة رجاء مؤلمة لكنها الحقيقة.

في الصفحة الرابعة يترجم محمد بنعبود نصا للقاص البرازيلي جواو يتستاميلو معتبا له بنص قصير لغراهام غرين،في ركن الرسائل المتبادلة بين الكتاب يوقع ياسين عدنان كلمة إلى قاسم حداد يستعيد من خلالها اللحظات الاول لانطلاق الموقع الثقافي الكبير «جهة الشعر». يكتب أيضا عبد اللطيف النيلة إلى أوغوستو مونتيروسو.

ضم الملحق صفحتين من الشعر حيث اربع قصائد لعزيز الحاكم وكمال أخلاقي وجمال ازراغيد وبنسالم حميش.

المادة المحورية لهذا العدد كتبها المفكر المغربي المعروف سعيد بنكراد يدافع من خلالها عن فكرة الاختلاف الذي يجيز كل الخلافات ما عدا ما يمس إنسانية الانسان. يكتب عبد الرحيم المودن عن الرحلة الداخلية بينما ينفرد مصطفى الحسناوي برباينر ماريا ريلكه متوقفا في نصوصه عند دلالات حضور الطهرانية. يكتب يحيى بن الوليد عن قصيدة الزجل بالمغرب عبر نموذج مراد القادري، ويقدم نبيل منصر كتاب خالد بلقاسم: «الكتابة والتصوف عند ابن عربي»، ويودع نور الدين الزاهي زاوية «أقواس» نصه المفتوح: العادة واليومي.

هناك أيضا مقالة هامة لأحمد المديني عنوانها: «هل مات النقد الأدبي؟و يدين من خلالها كل العوامل التي حولت هذا النوع من النقد إلى ما يشبه المهزلة، خاتما مقالته بهاته العبارة الساخرة: «حرفة الأدب أدركها البوار فصارت مادتها عبثا في مرتع العابثين، يريد المتسللون والمتسللات إليها ان يصبحوا سادة في رحاب أدب جديد يقوده نقد بهلوان».

أريد أن أشير في نهاية المطاف الى اني لم أجد مجلة حقيقية في المغرب كي اكتب عنها هذه الورقة، لذلك بدا لي أن ملحق «فكر وإبداع» لجريدة الاتحاد الاشتراكي أولى.

---

* شاعر من المغرب

قسوة

قص

عبد اللطيف الزكري*

.. ثم رأيت القطة، تحمل في شدقها صغيرها المولود حديثا، تمشي به في خفة الى مكان آمن من الشارع الفرعي للحي الذي أسكنه، حدقت في القطة أختبر أمومتها وهي تشد على صغيرها، كانت قطة صهباء.

... ثم تذكرت ما قاله حسن الرباطي عن الطفل الرضيع الذي وجدوه، في بكرة الصباح، مركونا الى باب بيتهم، في الحي الراقي، ملفوفا في قماط أبيض موضوعا في صندوق من الورق المقوى. كان الرضيع يبكي بشدة تمتحن آدمية المدينة كلها، ولم يكن من بد في اخبار الشرطة لتقوم بواجبها، وعرفت من بعد أن الرضيع منح الى احدى الجمعيات الخيرية.

... ثم صرت أتجول في شوارع المدينة، فارغا من كل شغل كأني لا أتطلع الى شيء، وكانت بي رغبة قوية في معرفة أعراض مرض القسوة الذي ألم بكثير من ناس مدينتنا، بحثت عن سر هذا المرض في الصحف اليومية والأسبوعية، فما وجدت الا نثارا قليلا من المعلومات أكثرها غير موثوق بها! وكان حالي في هذا البحث كالقابض على الماء.

... ثم عدت الى المنزل متعبا خائبا أبحث عن لحظات هدوء أسترخي فيها وأشبع نهمي من التفرج على قنوات التلفاز، فما وجدت من قناة تروقني لحظات قليلة الا أصابني معها ملل مفاجئ كأنه ضربة شمس في شتاء قارس البرد!

... ثم حاولت أن أبدد الملل بالقراءة، ووجدت بغيتي في كتاب جميل، كان خير جليس لي، صرت أقرأ بدون توقف، حتى عثرت على جملة أصابتني بالدوار من جراء قسوة كاتبها، فنفضت يدي من الكتاب، وخرجت من المنزل، من جديد.

... ثم بحثت عن القطة فوجدتها قد كومت سبعة صغار يموؤون بصوت واحد منسجم، كأنهم بصدد تلاوة نشيد... حدقت في الصغار وكانت أمهم غائبة...

... ثم صرت أتجول مفكرا في حياتي، فما وجدت حلا لما ينتابني من شرود غير مبرر، طوال أيام، بل طوال أسابيع... كنت وأنا أتجول أقرأ في وجوه الناس الكالحة، فما أستطيع فك شيفرة هذه الوجوه. وأحيانا كنت أرى وجوها صبوحة كأنها تضيء بالنور فأتعجب من حياة هؤلاء الناس، كيف يسودون وكيف يبيضون في الآن نفسه. وبينما أنا أسير في الشارع الرئيسي للمدينة اعترضتني طفلة صغيرة تستجديني صدقة، فما ترددت في الاستجابة لطلبها وان كان الأمر أفدح من أن أعالجه بالاستجابة الفورية، فهؤلاء المتسولون قد كثروا في المدينة، تتردد على شفاههم طلبات الصدقة بمذلة لا نظير لها...

ثم وأنا أسير، عثرت بحجر ناتئ من حفرة كبيرة . توقفت برهة قبل أن أستأنف مسيري، أفكر في اشكالية الحجر والبشر...

ثم عدت الى بيتي مهدودا مكدودا لا ألوي على شيء، وما بي حاجة الى شيء أكثر من الحاجة الى النوم، وتذكرت قول الشاعر:

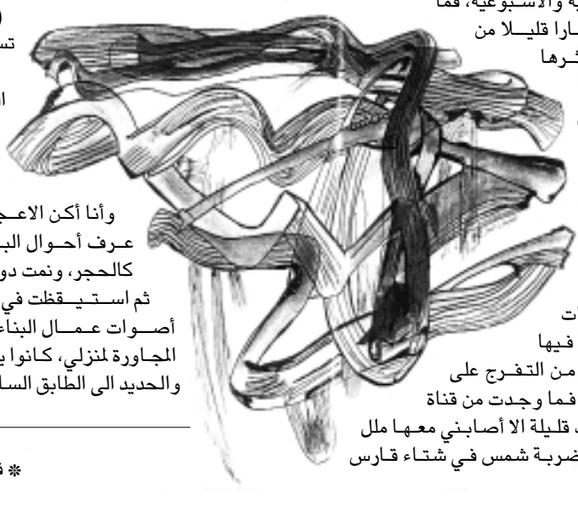

(نامـوا ولا تستيقظوا ما فاز الا النوم)

رددت في نفسي قول هذا الشاعر، وأنا أكن الاعجاب له كيف عرف أحوال البشر الذين هم كالحجر، ونمت دون تردد ! ...

ثم استيقظت في الصباح على أصوات عمال البناء في العمارة المجاورة لمنزلي، كانوا يرفعون الألواح والحديد الى الطابق السابع ...

---

* قاص من المغرب